المحور: المدرسة الماركسية

ظروف نشأة الماركسية وأهم روادها

المبحث الأول: ظروف نشأة الماركسية

لقد اتسمت الرأسمالية الصناعية بتراكم رأس المال التقني وتشييد المعامل وانتشار صناعة النسيج والصلب والفولاذ واستغلال مناجم الفحم والحديد، ولقد صاحبت هذه الثورة الصناعية الليبرالية تعاسة كبيرة للطبقة وبؤس مدقع في أوساطها واستغلال كبير للأطفال والنساء الذين كانوا يعملون في المناجم المظلمة والمعامل الضيقة، ولقد ساعد المستوى المنخفض للأجور، أصحاب الأموال من تكديسها واستثمارها، الشيء الذي أدى إلى تقدم اقتصادي كبير على حساب تضحيات اجتماعية قاسية.

ولقد كانت الرأسمالية الصناعية تمثل مرحلة متقدمة في تاريخ تطور المجتمع البشري في استغلال الموارد الطبيعية على نطاق واسع ، وإنتاج السلع والخدمات المختلفة على نطاق كبير جدا بسبب الاختراعات العلمية واستخدام المكائن والمعدات الإنتاجية ،لكن هذه التغيرات لم تجلب إلا القليل من المنافع إلى الغالبية الساحقة من السكان ،حيث تركزت أدوات الإنتاج في أيدي فئة قليلة من الرأسماليين وحولت الملايين إلى عمال فقراء ، فالأجور المنخفضة وساعات العمل الطويلة وظروف المعيشة المزرية والأمراض والحرمان هي أسلوب الحياة الذي ارتبط بالنظام الرأسمالي. كما أن تطور النظام الرأسمالي الذي اعتمد على آلية السوق والمنافسة الكاملة سرعان ما اختفت وحلت محلها المنافسة الاحتكارية أو احتكار القلة

ولهذه الأسباب بدأت في الظهور الأفكار الاشتراكية التي كانت تنادي بتدخل الدول من أجل حماية المسار الاقتصادي ورعاية مصالح الطبقة العاملة وبدون التوغل في شرح النوع الأول من الاشتراكيين التي رفع العديد من المفكرين والكتاب أصواتهم منددين بالرأسمالية وداعين إلى خلق نظام اجتماعي جديد يكون أكثر انسجاما وأقرب إلى العدالة والروح الإنسانية ويهدف إلى التوافق الموجود بين طبقات المجتمع بدون إحداث أي فوضي أو عنف في النظام ككل ألا و هي الاشتراكية الخيالية أو الطوبائيةutopian««socialism لأن ما يهمنا هو النوع الثاني من الاشتراكية والذي نادي بها ماركس وهي الاشتراكية الماركسيةMarxian " "socialismأو الاشتراكية العلمية التي تقوم على تحليل علمي بخلاف الاشتراكية الخيالية.

إن الأفكار التي جاء بها ماركس تنطلق أساسا من الواقع والظروف التي كانت تعيشها الأنظمة الرأسمالية كما رأينا سابقا، ومن النقد الذي واجه به أفكار المدرسة الكلاسيكية وإعطاء بديلا لها ويمكن إيجاز هذه الانتقادات فيما يلي:

1 -اهتم التقليديون بالمظهر الكمي للظواهر الاقتصادية وتجاهلوا المظهر الكيفي لذلك أصبحت عندهم كل الظواهر متجانسة، وهذا خطأ فالظواهر الاقتصادية متباينة ومختلفة فيما بينها.

2 -إن ارتباط التحليل الاقتصادي التقليدي بالأجزاء وخاصة ما تعلق بالفرد الاقتصادي أو ما سمي عندهم بالرجل الاقتصادي ورشادته، وبالتالي فقد ربطوا القوانين الاقتصادية بالحالة النفسية للإنسان وهو يمارس نشاطه الاقتصادي، إلا أن القوانين الاقتصادية حسب ماركس هي نتيجة روابط اقتصادية واجتماعية تنشأ بين أفراد المجتمع.

3 -ينتقد ماركس بشدة ما توصل إليه التقليديون بأن القوانين الاقتصادية صالحة لكل مكان وزمان، فالظواهر الاقتصادية لها طبيعة ديناميكية، حركية، متغيرة من مجتمع إلى آخر وبالتالي فهي ظواهر تاريخية.

من هذه الانتقادات يبدأ ماركس تحليله للاقتصاد السياسي- على منهج بديل وهو التحليل الديالكيتي المادي الذي يعتبر الكون ككل مكون من المادة في حركتها، أو ما يسمى بالمادية الجدلية لماركس، وسنتناول الأرضية الفلسفية لماركس ومنهجيته في التحليل

رائدي المدرسة الماركسية (كارل ماركس و انجلز)

1-كارل ماركس Karl Marx (1818 -1883)

ولد **ماركس**، عام 1818 في مدينة (تريف)بألمانيا وكان الابن الثاني الأسرة يهودية غنية اعتنقت المسيحية، كان والده محاميا، التحق ماركس بجامعة (بون) وقد تأثر كثيرا بالجدل الفلسفي الكبير الذي كان يدور في ذلك الوقت وخاصة مع الفيلسوف هيجل «الذي كان قد طلع بنظام فلسفي ثوري حيث وجدت الجامعات الألمانية نفسها منقسمة حول هذا المذهب الجديد، وانضم ماركس إلى مجموعة من المثقفين عرفوا باسم" **شباب هيجل** " والذين كانوا يناقشون مسائل جريئة مثل الإلحاد والشيوعية النظرية البحتة باستخدام أسلوب هيجل الديالكتي.

لم يستطع ماركس الحصول على كرسي الأستاذية بالجامعة نظرا لأفكاره التي كانت تمثل خطرا على الدولة. تحول إلى الصحافة حيث حر ر عدة مقالات ما بين 1842 و1848 انتقد فيها سياسة وقانون المجتمع الألماني، رحل إلى فرنسا حيث كان يريد معرفة نوعية الاشتراكية الفرنسية، لكنه شعر بخيبة الأمل لأن الاشتراكية هناك كانت نظرية، لذلك أتي بفكرته أن النظرية والتطبيق شيئان متلازمان في العمل السياسي وأفضل مكان لهما هو الشارع. حيث التقى بزميله انجلز وتبادلا الأفكار التي كانت تجمعها.

عرف ماركس بغزارة إنتاجه الفكري حيث له عدة مؤلفات نذكر منها:

- بؤس الفلسفة وجواب على فلسفة البؤس لبردون
- الصراعات الطبقية في فرنسا عام 1850
- الحرب الأهلية في فرنسا عام 1871
- نقد الاقتصاد السياسي عام 1859

ومن أهم مؤلفاته كتاب رأس المال الذي نشر المجلد الأول له في حياة ماركس عام 1867 أما المجلد الثاني نشره انجلز عام 1884 بعد وفاة ماركس والكتاب الثالث عام 1894.

تو في ماركس سنة 83 18 عن عمر يناهز 5 6 سنة.

2- فريدريك انجلز

ولد **انجلز** في -بارمان -بألمانيا عام 1820، كان والده مستثمر رأسمالي، مما جعله يحرمه من إكمال تعليمه في الثانوية وذلك من أجل مساعدته في إدارة مشاريعه إلا أن **انجلز** انكب على التعلم الذاتي نظرا لذكائه وموهبته العقلية وقدرته على التفكير السريع والملاحظة الدقيقة، فقد كان يتحدث بعشرين لغة.

اهتم بدراسة الحركة العمالية وحياة العمال وقد كتب مؤلفه وضع الطبقة العاملة في انجلترا عام 4 184، وقد التقي للمرة الثانية مع ماركس عام 1844 في باريس حيث تبادلا أفكارهما وتحدثا عن كل ما يجمعهما وقد تعاونا في جمع أفكارهما إذ لا نكاد أن نجد شيئا كتبه أحدهما دون أن يشرف على تحريره الثاني أو يعيد كتابته أو على الأقل يناقشه

الأرضية الفلسفية لكارل ماركس ونظرياته الاقتصادية وتقييمها

الأرضية الفلسفية لكارل ماركس (المادية الجدلية والمادية التاريخية)

يقول ماركس إن كل مجتمع يبني على قاعدة اقتصادية، ويرسخ في النهاية في حقيقة البشر الذين نظموا نواحي نشاطهم بقصد توفير ما يحتاجون إليه من مأكل ومشرب ومسكن، ذلك التنظيم يختلف اختلافا شاسعا من مجتمع لآخر ومن عصر لآخر، فيمكن أن يكون رعويا أو يقوم على صيد الحيوان أو يتجمع حول وحدات حرفية يدوية أو يتخذ صرحا صناعيا معقدا، ولكن مهما كان الشكل الذي ينظم به الناس أمورهم بقصد حل مشكلتهم الاقتصادية فسوف يتطلب مجموعة من القوانين التي تشرف عليها الدولة والتي تستمدها من الدين والفلسفة، ويعتقد ماركس هنا أن الأفكار والآراء والقوانين هي نتاج البيئة حتى ولو كانت تستهدف تغيير تلك البيئة.

وهذا التحليل الفلسفي الذي استعمله كارل ماركس يسمى بالمادية، ولقد رفض "ماركس" في ماديته الآراء القديمة التي ترتكز على أن الأفكار هي التي تحكم العالم، وأن العالم من صنع أفكار الناس، بل أن صناعة التاريخ والأفكار هي بفعل القوى المنتجة المتمثلة في أسلوب الإنتاج الذي يحد د شكل تطور المجتمع وهو يتحدد بالقوى المنتجة وبعلاقات الإنتاج.

فالمادية بمفردها كفيلة أن تهبط بالأفكار إلى مجرد قوى سلبية تصاحب النشاط الاقتصادي ولكن النظرة الجديدة كانت ديالكتيكية (جدلية) كما هي مادية أو ما يسمى بالمادية الجدلية أي أننا نتصور التغيير والتغير الدائم الكامن، وفي تلك الحركة الدائبة التي لا تنتهي فإن الأفكار النابعة من فترة زمنية معينة تساعد على تشكيل فترة أخرى، وأن عملية التغيير الاجتماعي لم تكن مجرد اختراعات جديدة تضغط على أنظمة قديمة وإنما كانت مسألة طبقات جديدة تخرج القديمة وتحل محلها.

ومن هنا ينشأ الصراع، فالطبقات التي يتعرض مركزها للخطر تحارب الطبقات التي يقوى مركزها، فالسيد الإقطاعي يحارب التاجر الصاعد وعضو النقابة الحرفية يحتقر الرأسمالي الناشئ وهكذا.

ولكن عملية التاريخ لا تعطي أهمية لهذه الميول والصراعات، فالأحوال تتغير بالتدريج ولكن بصفة مؤكدة، ويعاد تنظيم طبقات المجتمع وهو ما سماه ماركس بالمادية التاريخية، وهي التطبيق العملي للمادية الجدلية على المجتمع، وهكذا يبدو التاريخ استعراضا من صراع لا ينقطع بين الطبقات من أجل تقسيم الثروة الاجتماعية فكلما تغيرت التقنيات التي يستخدمها المجتمع كلما تغير تقسيم طبقات المجتمع وتغير النظام الاقتصادي ككل.

فحسب ماركس أن الإنتاج الصناعي الذي قامت عليه الرأسمالية والملكية الخاصة لوسائل الإنتاج يؤدي إلى صراع وتصادم بين الصرح العلوي والقاعدة، فالمصانع الكبيرة تطلبت التخطيط بينما كرهته الملكية

الخاصة، ولقد أصبحت الرأسمالية معقدة على درجة أنها تحتاج إلى توجيه، ولكن إصرار الرأسمالي ين على الحرية المطلقة سيؤدي على تدمير الرأسمالية نفسها ووقوع أزمات وحالات كساد وفوضى اجتماعية، وبهذا فإن الرأسمالية سوف تولد نظام يخلفها يقوم على الاشتراكية.

وقد استشهد ماركس بالمراحل التاريخية التي مرت بها المجتمعات وهي:

1 -البدائية المشاعية.

2 -نظام الرق أو العبودية.

3 -نظام الإقطاع.

4-النظام الرأسمالي.

5 -النظام الاشتراكي الشيوعي.

أهم أفكار ماركس

إن أهم الأفكار والنظريات التي جاء بها ماركس هي نظرية أو القيمة الفائضة

1 -نظرية القيمة وفائض القيمة

أخذ ماركس نظريته في القيمة عن المدرسة الكلاسيكية الانجليزية، حيث تحدد قيمة أي سلعة بعدد ساعات العمل المبذولة في صنعها، ولقد بين ماركس أن قيمة البضاعة تتحدد بكمية العمل الوسطية الضرورية اجتماعيا لإنتاجها، وأن المنتجات التي تحتوي على كميات متساوية من العمل الإنساني المتجسد فيها تكون لها نفس القيمة، وقد بين ماركس الفرق بين القيمة الاستعمالية للسلعة والقيمة التبادلية لها من خلال التفريق بين العمل الملموس والعمل المجرد فالعمل الملموس هو العمل المنفرد الذي يقوم به عامل في ظروف خاصة بإنتاج سلعة معينة يكون لها قيمة استعمالية أي الحصول على منفعة من خلال استعمالها، أما القيمة التبادلية فتنتج عن ذلك العمل المجرد ويقصد به كمية العمل الضروري اجتماعيا لإنتاجها وهو الوقت اللازم لإنتاج سلعة ما ضمن ظروف إنتاج عادية اجتماعيا، أي في حدود الوسطية من المؤهلات والخبرة وشدة العمل، ويتناسب مقدار القيمة التبادلية لسلعة ما طردا مع كمية العمل الاجتماعي المبذول لإنتاجها.

ويقول ماركس أنه في عالم الرأسمالية الكاملة تباع كل سلعة حسب ثمنها الحقيقي تماما والثمن الحقيقي يمكن وجود الأرباح إذا كان كل شيء يباع حسب قيمته تماما؟ فمن ذا الذي يحصل على زيادة غير مكتسبة؟

ويجد **ماركس** الجواب في أن هناك سلعة واحدة ووحيدة تختلف عن جميع السلع الأخرى وهي لا تباع بقيمتها الحقيقية ألا وهي قوة العمل، فالعامل يبيع قوة عمله، إلا أنه ما يباع للرأسمالي هي تلك الطاقات التي تساوي مقدار العمل اللازم لإبقاء العامل على قيد الحياة أي الأجر وهو القيمة الحقيقية التي يحتاج إليها العامل للبقاء على قيد الحياة وقد سميت عند **آدم سميث وريكاردو** بأجر الكفاف

وهنا وجد ماركس سر الربح في النظام الرأسمالي فالعامل يتعاقد على العمل لكنه لا يمكن أن يطلب إلا أجرا هو حق له، وذلك الأجر يتوقف على وقت العمل مما يلزم العامل على قيد الحياة، فمثلا عامل يلزمه

عمل ست ساعات من عمل المجتمع للمحافظة على حياته، فهو لا يشتغل سوى ست ساعات في اليوم ولكنه على العكس يوافق أن يشتغل ثمانية ساعات في اليوم أو أكثر، وهنا ينتج قيمة إضافية يحصل عليها الرأسمالي كربح أطلق عليها ماركس" القيمة الفائضة "أو "فائض القيمة"

وقد وصل ماركس إلى حتمية وجود فائض القيمة في النظام الرأسمالي وحمل النظام الرأسمالي وحده مسؤولية الاستغلال وراح يبين أن تطور هذا النظام يحمل بذور فنائه، وكشف ماركس عن أشكال فائض القيمة والتي تميز كل منها مرحلة من مراحل تطور أسلوب الإنتاج الرأسمالي

1 -فائض القيمة المطلق

وتنتج عن تمديد يوم العمل والحصول على المزيد من الفائض بدون أي زيادة في أجر العامل، أو زيادة كثافة العمل أي بذل جهد من طرف العامل في عدد من الساعات ولتكن 10 ساعات بذلا من 13 أو 14 ساعة التي كان يعملها سابقا، ويمكن زيادة كثافة العمل بطرق كثيرة منها: تسريع وتيرة العمل، تسريع سير الآلات، زيادة عد د الآلات. . .. .الخ

2-فائض القيمة النسبي

إن فائض القيمة المطلق لا يمكن أن يزداد بصورة غير محدودة، فحده الطبيعي هو الطاقة الجسدية للعمال، إلا أن مصلحة الرأسمالي هو أن يستثمر هذه القوة وليس تدميرها، وبالتالي على الرأسمالي السعي إلى تقليص وقت العمل الضروري لإنتاج معادل الأجر العادي، كذلك استخدام الآلات الجديدة وإدخال التكنولوجيا الحديثة وطرائق العمل الأكثر عقلانية، وتقسيم العمل ستؤدي على زيارة فائض القيمة.

3- نظرية تراكم رأس المال

يتمكن أصحاب رؤوس الأموال من جمع الأموال وتكديسها بين أيديهم نتيجة للأرباح التي يحصلون عليها وهي أرباح تترتب عن ظاهرة فائض القيمة، فيستعملون هذه الأموال في الاستثمار أي في شراء رأس المال، ويقسم ماركس رأس المال إلى قسمين:

- رأس المال الثابت أو القار والذي يتكون من الآلات والمعدات والمواد الأولية.
- رأس المال المتغير أو الدائر وهو الذي تدفع منه الأجور.

ويرى ماركس أن رأس المال المتغير هو مصدر فائض القيمة.

4- نظرية الأزمة - فناء النظام الرأسمالي-

إن الرأسمالية حسب ماركس تولد تراكم رأس المال الثابت وتفاقم الفقر والتعاسة بين العمال وكبر حجم طبقة البروليتاريا نظرا لدخول الرأسماليين الصغار في هذه الطبقة لاشتداد المنافسة عليهم وظهور الطبقة المحتكرة ولهذا ينشأ الصراع الطبقي بين العمال والطبقة الرأسمالية ويصل به إلى الثورة العنيفة التي تقضي على الرأسمالية نفسها.

تقييم أفكار ماركس

إن أفكار ماركس كانت متماشية مع العصر الذي عاش فيه حيث اتسم بالاستغلال الكبير للطبقة العاملة من طرف الرأسمالية، كما دلت أفكار ماركس على درجة ذكائه وقوة وعمق تحليله للظواهر

الاقتصادية وخاصة ما يتعلق بفائض القيمة. ولقد كانت لأفكار ماركس وكتاباته الأثر الكبير على الاتجاهات اليسارية في أوروبا وخاصة في ألمانيا وروسيا وكانت نبراسا لظهور وميلاد تنظيمات عمالية وأدت إلى ظهور دراسات وأفكار أخرى اعتبرت امتدادا للنظرية الماركسية وما سميت باتجاه الماركسية بعد ماركس، حيث قامت أول ثورة اشتراكية سنة 17 19 بروسيا وقادتها هم

لينين و تروسكى وستالين، كما اهتم ماركس بفكرة التطور وبحث قوانينه واتجاهاته والعوامل التي تؤثر فيه وبالتالي ساعد الدول النامية على إيجاد الحلول للخروج من التخلف والتبعية الاقتصادية وتحقيق التنمية الاقتصادية، وليس هذا معناه أن أفكار ماركس لم تلقى انتقادات بل تعرضت لمجموعة من الانتقادات اللاذعة وخاصة فيما يتعلق بنظرية القيمة وفائض القيمة

- إن نظرية القيمة عند ماركس أخذت العنصر الإنتاجي الوحيد وهو العمل بدون الاهتمام بعناصر الإنتاج الأخرى، حيث أن قيمة أي سلعة هي كمية العمل الاجتماعي المبذول فيها، كما أنها أهملت جانب الطلب وبالتالي فإنه لا يمكن التسليم بصحة هذه النظرية وكذلك صحة نظرية فائض القيمة.
- إن الواقع العملي بين أن نظرية التطور التاريخي لماركس خاطئة حيث أن المرحلة الأخيرة التي يصل إليها النظام وهي الاشتراكية لا تتحقق إلا بالمرور بالمراحل الأولي وخاصة مرحلة النظام الرأسمالي الصناعي إلا أن بعض الدول توطنت فيها الاشتراكية بعد مرحلة الإقطاعية مباشرة وكمثال على ذلك الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية.
- إن تحديد ماركس للأجور بالمستوى اللازم لحصول العمال على ضروريات الحياة أو ما سمي عند الكلاسيك بأجر الكفاف، لم يعد فكرة صحيحة وشائعة في العصر الحديث نظرا لزيادة التكنولوجيا وإدخال التقنيات الحديثة في العمل والتي أدت إلى زيادة إنتاجية العامل وبالتالي ارتفاع الأجور الحقيقية للعمال

أهم المراجع المعتمدة:

- رفيقة حروش، الاقتصاد السياسي. الجزائر: دار الأمة، 2011
- عمر حسين، تطور الفكر الاقتصادي. القاهرة: دار الفكر العربي، 1998